الله تعالى في الازل من صلب ادم واخذ منهم الميثاق الازلي
ليعرفوا منه ان النسل المخرج فيما لا يزال من اصلاب بنيهم هو المخرج
في الازل من صلبه واخذ منهم الميثاق الازلي من صلبه واخذ
منهم الميثاق الازلي وهو المقالي الازلي كما اخذ منهم فيما
لا يزال بالتدريج حين اخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي
الانزالي والحاصل ان الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني ادم
احدهما تهتدي اليه العقول من نصب الادلة الحاملة على
الاعتراف الحالي وثانيهما المقالي الذي لا يهتدي اليه العقل
بل يتوقف على توقيف واقف على احوال العباد من الازل الى
الابد كالانبياء عليهم السلام اراد صلى الله عليه وسلم ان يعلم
الامة ويخبرهم ان وراء الميثاق الذي يهتدون اليه بعقولهم
ميثاق اخر ازليا فقال ما قال من مسح ظهر ادم في الازل
واخراج ذريته واخذه الميثاق عليهم انتهى وبهذا يزول
كثير من الاشكالات فتامل فيها حق التامل وقال القاضي
في شرح للمصابيح التوفيق بينهما ان يقال المراد من بني ادم
هو اولاده فكانه صار اسما للنوع الانسان والمراد من الاخراج
توليد بعضهم على مر الزمان واقتصر في الحديث على ادم لانه الاصل
انتهى وفيه ان التوليد على مر الزماني ينافي الميثاق الموصوف
بالآني فكيف يكون الحديث تفسيرا للاية ثم سنح لي بالبال
انه يمكن ان يقال انما اقتصر في الاية على الذرية لظهور امر ادم
بالادلة الفعلية والعقلية خصوصا من الاضافة الاية كما
هو مقتضى الفصاحة القرانية والبلاغة الفرقانية الموصوفة
بالاعجاز التي من جملتها الاتيان بالاطناب والايجاز ولما
فهم عليه السلام من السؤال بقرينة الحال موضع الاشكال للواقع
فيه من الاجمال اقتصر على مقدار الحاجة من المقال فقال فاستخرج
منه ذريته قيل قبل دخول ادم الجنة بين مكة والطائف وقيل
ببطن نعمان وانه بقرب عرفة وقيل في الجنة وقيل بعد النزول
منها بارض الهند وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
عليه السلام انه قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعني

يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين
يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال الست بربكم قالوا بلى
شهدنا وسيجيء في الفصل الثالث ما يدل على ان المراد
من هذا الحديث هذا ولما كان السائل بليغا عارفا
بصياغة الكلام سكت عند حصول المراد ولعل السيد
سندا عن الازهار انه قيل شق ظهره واستخرجهم
منه وقيل انه استخرجهم من ثقوب رأسه والاقرب
انه استخرجهم من مسام شعرات ظهره فقال خلقت
هؤلاء للجنة وفي تقديمهم اشارة الى معنى الحديث القدسي
سبقت رحمتي غضبي وبعمل اهل الجنة اي من الطاعات
يعملون اما في جميع عمرهم او في خاتمة امرهم ثم مسح ظهره
اي بيسره كما في نسخة ولم يقل هنا بيمينه بخلاف فيما تقدم
لان اليمين مظهر الخير وليظهر الفرق بين اهل الجنة
والنار ولم يقل هنا بشماله تادبا ومن ثمة ورد كلتا
يدي الرحمن يمين لان الشر المحض ليس له وجود في الكون
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل
النار اي من السيئات يعملون كما سبق وفي الجمع بين الخلق
والعمل اشارة لصيغة الى مذهب اهل السنة والجماعة
المتوسطة بين الجبرية والقدرية فقال رجل ففيم العمل
يا رسول الله الفاء دخل على جواب الشرط المقدر وفي وقع
لام الفرضية اذا كان كما ذكرت يا رسول الله من سبق القدر
ففي اي شيء يفيد العمل او باي شيء يتعلق العمل او فلاي
شيء امرنا بالعمل يعني انه حيث خلق له فلا يتصور تغييره
وتبديله يستوي عمله وتركه ولما كان هذا جبرا محضا مزج
بنوع من القدر المتعلق بالعمل ليعتدل الامر المستقيم
والدين القويم الذي هو عبارة عن الجمع بين خلق الله
وكسب عبده فقال رسول الله عليه السلام ان الله اذا خلق
العبد للجنة استعمله اي جعله عاملا ووفقه للعمل بعمل اهل
الجنة فيه اشارة الى تقوية الجبر ولذا لا يلزم الا محض الجبر

Copyright © King Saud University